IUGJHR
Vol 28, No 2, 2020, pp 157 -177

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (5-12-2018)، تاريخ قبول النشر (12-1- 2019)

أثر الترادف في بناء الاقترانات اللغوية في أفعال الحركة
روايات أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير)

اسم الباحث الأول: شفاء علي المقابلة *.1

اسم الجامعة والبلد (للأول) قسم اللّغة العربيّة- كلية الآداب- جامعة اليرموك-الأردن

البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: Shefaa.makabelah@ymail.com

الملخص:

يناقش هذا البحث ترادف المفردات ضمن علاقة الاقتران اللغوي في أفعال الحركة، فيبيّن تأثير الألفاظ المترادفة في بناء الاقترانات اللغويّة التي تعتمد على العلاقات الفكريّة بين المفردات، ويوضح أثر المصاحبة اللغوية في توليد فكرة الترادف من خلال إكساب الفعل ملامح دلالية جديدة، وعلى النقيض من ذلك قد تُفقِد المصاحبة اللغوية المفردات ملامحها الدلالية، فينتفي الترادف بين المفردات على مستوى الاقتران اللغويّ، ويبقى ضمن دائرة الترادف المعجمي.

كلمات مفتاحية: الترادف، الاقتران اللغوي، أفعال الحركة، أحلام مستغانمي

The effect of tandem in the construction of linguistic associations in the actions of the movement, Novels of Ahlaam mostaganemi (Dakirat Al-jasad, Fawda Al- hawaas, Aber sabeel)

Abstract:

This research discusses the synonymity of vocabulary in the contextual relationship in the actions of the movement, showing the effect of synonyms in the construction of linguistic associations that depend on the intellectual relations between the vocabulary, and explains the effect of linguistic accompaniment in generating the idea of tandem by giving the verb new semantic features. The vocabulary loses its semantic linguistic features, losing its synonyms at the linguistic level, and remains within the lexicon of synonyms.

Keywords: tandem, conjugation, verb, Ahlam Mostaganemi

المقدّمة:

اللغة رموز صوتية لها نظُم متوافقة في التراكيب، والألفاظ، والأصوات، وتستخدم من أجل الاتصال، والتواصل الاجتماعي والفردي، وذلك تعريف يوحي بأن اللغة تقوم على الاقتران، فهي رموز صوتية في نُظم، والنُظم لا تأتي عبثًا وإنما هي اقترانات للألفاظ وفق شروط قواعدية، فالألفاظ لا تقترن بغيرها اعتباطًا، والمرء لا يتكلم مفردات، وإنما تراكيب تمتد لتصبح جملًا مركبة، أو تَقِلُّ لتصبح جملًا صغرى، وكلاهما مقيد بعلاقة ربط وارتباط بين عناصر التركيب، وكأن المفردة تفرض قيودًا على المفردات التي تليها، والمطلع على ما تقدم عند اللغويين الأوائل مثل الجرجاني، يرى تلك المنهجية واضحة في دراستهم للألفاظ.

ويتخذ هذا البحث من الاقترانات اللغوية في روايات أحلام مستغانمي – بوصفها نصوصًا معاصرة– ميدانا للدراسة في الكشف عن الترادف القائم بين المفردات، وأثره في بناء الاقتران اللغوي، وذلك في اقترانات أفعال الحركة، في روايات أحلام مستغانمي(ذاكرة الجسد، وفوضى الحواس، وعابر سرير)، وتتطرق الباحثة فيه إلى تحليل نماذج ممثلة لتغيّر الملامح الدلالية المؤدي إلى فقد الترادف على مستوى النص.

وتنحى هذه الدراسة منحىً لغويًّا دلاليًّا في مقاربتها لروايات أحلام مستعانمي، وذلك في مفارقة واضحة لدراسات عديدة قد اهتمت بأعمال الأديبة الجزائرية من وجهة النقد الأدبي في أبعاده الفنية والموضوعية؛ لأجل أنها أديبة بارعة وموهوبة في اختيار اللفظ الحسن مع علوّ في الصياغة، وجودة في أدبية الأدب، وشعرية الحبك والسبك، وهذا الملمح الأسلوبي في أعمال الأديبة جاذب للدراسة الأدبية، وكذا اللغوية على السواء، وخاصة في مقام العلاقات الدلالية بين المفردات أو التراكيب، وعليه تهدف هذه الدراسة إلى شرح مسألة "الاقتران اللغويّ" وبالتحديد جانب المترادفات المتعلقة بأفعال الحركة في روايات أحلام مستغانمي، وكيف يستدعيها الذهن؟ وما هو العنصر المرتبط بالفعل من أعضاء البدن؟، وكيف أن تَغيُّر الملامح الدلالية، بسبب تغير المصاحبات اللغوية، يؤدي إلى فقد الترادف بين الألفاظ على مستوى النص؟.

وقد وقع اختيار الباحثة على عدد من روايات الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي التي تمثل فكرًا مستمدًا من الواقع، يكسر مألوف اللغة وينزاح عنه، وقد مثلت إحدى هذه الروايات، وبالتحديد "ذاكرة الجسد" نقلة نوعية في عالم الرواية الجزائرية بكل تفوق وامتياز، نظرا لخصوصيتها من خلال تجاوزها النصوص الروائية التقليدية وانزياحها عنها، أما رواية "فوضى الحواس" التي جاءت بعد ذاكرة الجسد في عام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين، فقد تعرضت الكاتبة في مضمونها إلى الحديث عن النضال الجزائري، وتراث قسنطينة، والمرأة الجزائرية، والرواية الثالثة التي نشرت عام ألفين وثلاثة بعنوان (عابر سرير)، لم تحدد فيها الكاتبة نوعها الأدبي فكانت تداخلًا بين الواقع والوهم والحياة والحلم، وبناءً على ما سبق، فروايات مستغانمي يمكن الإفادة منها في رصد عدد من الاقترانات المستعملة في اللغة المعاصرة ودراستها.

ولا خفاء أن الاقترانات اللغوية ظاهرة لسانية عامة؛ لعلاقتها عموما بمستويات اللغة المختلفة، وهي ظاهرة لا نعدم وجودها في التراث العربي، حيث نجد الكثير من الكتب التراثية تزخر بها، وإن كانت مختلطة بأشكالها وأنواعها، وتحتاج تصنيفا، مثل كتاب "متخير الألفاظ" لأحمد بن فارس، وكتاب "الألفاظ المترادفة" للرماني، وكتاب "جواهر الألفاظ" لقدامة بن جعفر وغيره وتعددت المصطلحات الممثلة لمفهوم الاقترانات اللغويّة التي جاءت ترجمة لمصطلح اللغوي فيرث "collocation"، فكانت في مسميات متعددة منها الاقتران اللفظي، والمصاحبة والتلازم، والرصف، والنظم، والتضام، وقيود التوارد[1].

والاقتران في اللغة مصدر اقترن، وجاءت في المعجم الوسيط معان عديدة للاقتران في باب قرن، وهي في مجالات مختلفة، وكلها تصب في تلازم الشيء بالشيء، والالتصاق به، فـ "اقترن الشيء بغيره اتصل به وصاحبه"[2].

(1) للاستزادة، انظر، الحسيني، المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم(دراسة نظرية تطبيقية)، ص65.

(2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2/ 737.

أما اصطلاحا، فالاقتران المقصود في هذا البحث جاء تعريفه في كتاب "النظام القرآني بـ "مجيء الألفاظ بعينها في التراكيب المختلفة في مواضع متباينة... ولا يقصد بذلك التسلسل نفسه في المفردات، فمثلا تكرار القلب مع مفردة الكفر في صيغ إعرابية مختلفة يُعدُّ اقترانًا لفظيًّا"[1]، وهو من باب الاتّساع في الدلالة.

ومن معتاد البحث اللغويّ أن يُفرّق في الاقترانات اللغويّة بين نوعين وهما: المقيّدة والحرّة:

الاقترانات المقيدة: وقرينة التمييز لهذه الفئة من الاقترانات أنها مشدودة إلى معنى التلازم؛ أي أنّ اقتران لفظ بلفظ في هذا النوع يعني تلازمًا، لا انفصام فيه بين اللفظين، ومن أهم مسميات الاقترانات المقيّدة، المتلازمات اللفظيّة، التي إن نُطِق فيها بلفظ استحضرَ الذهن اللّفظ الآخر مثل (أهلا وسهلا)، ويعرُّفها أبو العزم بقوله: "وحدة لغويّة اسميّة أو فعليّة مكوّنة من كلمتين أو أكثر، ينشأ عن ارتباطها معنىً جديد، يختلف كليًّا عما كانت تدل عليه معانيها اللغوية الأصلية منفردة، حيث تنتقل بذلك إلى دلالات اجتماعية، وسياسية، وثقافية، ونفسية، واصطلاحية"[2].

الاقترانات الحرة: وهذه تتميّز بأن الاقتران فيها مفتوح، وظرفيّ حسب المقام دون وجود خصوصيّة علائقيّة معيّنة تربط بينها، فيمكن أن يُستبدَل الرأس أو الذيل بكلمات، أو تراكيب أخرى وتتمثّل بـ (مفردة نواة + لفظة أو ألفاظ لازمة)، فنقول مثلا: ساحة واسعة، وفناء واسع، وباحة واسعة، وأرض واسعة، ولعلها توحي بالترادف التام، لكنها ليست ترادفًا تاما على ثبات االمفردة اللازمة فيها (واسع) فهناك استبدال في المفردة الأولى (ساحة، وفناء، وباحة، وأرض)،على أن ذلك الاستبدال ليس حرًّا بالمطلق، ولا هو قائم على الاعتباطية، وإنما هو مقيّد بسلامة التركيب، وسلامة المعنى المناسب للموقف.

أما اختيار الباحثة لأفعال الحركة، فذلك لأن الحركة من متلازمات الإنسان في جميع متعلقات حياته، وفي مختلف الأمكنة والأزمنة، ويتمثل ذلك في رؤية يحيى جبر بقوله: "فالحياة هي الحركة، والحركة حادثة إما لطبع في المتحرك، أو لخاصية منحت له، وباعث الحياة حي"[3]، ويشير عماد عبد الرحمن بخصوص حرية الحركة إلى أنها تُلاحظ في حركة قد تكون تقدميّة أو

(1) النيلي، النظام القرآني مقدمة في لمنهج واللفظ، ص26.

(2) أبو العزم، مفهوم المتلازمات وإشكالية الاشتغال المعجمي، ص34

(3) جبر، الحركة والحياة، دراسة في اللغة، https://blogs.najah.edu

دائرية، أو إلى أعلى وإلى أسفل مثلما يُلاحظ في أفعال ألفاظ الجري والفرار والسرعة، أما ألفاظ المنع والحبس، فتظل حركة الإنسان محليّة داخل المكان، وكذلك حركات القفز والضرب[1].

واتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ، فتناولت عددًا من الاقترانات اللغويّة المتضمنة ألفاظًا مترادفة تخصّ أفعال الحركة في الروايات، وحللتها لغويّا ودلاليّا مسلّطة الضّوء على التّرادف في بعض ألفاظها، وأثره في تشكُّل الاقترانات اللغويّة.

التّرادف والاقتران اللغويّ

جاء معنى الترادف في لسان العرب " ...ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو رِدفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو الترادف"[2]، والترادف في اصطلاحات علماء الدلالة ما جاء عند الشريف الجرجاني: "الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي ألألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[3]، وعدّ بعض اللغويين الاستبدال الدلالي في الاقترانات اللغوية وسيلة للتفرقة بين المترادفات، بمعنى أننا نستطيع التوصل إلى علاقة الترادف بين لفظتين باستبدالهما في اقتران لغوي واحد، فإن تحقق المعنى في كلا الاقترانين، فذلك يعني أن اللفظتين بينهما علاقة ترادف[4].

وذلك ما تراه الباحثة متجسدا في كلام عبد الواحد خيري في حديثه عن بعض خصائص المتلازمات (الاقترانات اللغوية)، حيث يمكن استبدال أي مكون من مكونات الاقتران اللغوي في في حدود ما تضمه الطبقة المعجمية الدلالية التي ينتمي إليها المستبدل، فبالنظر إلى الاقترانين (جذب الانتباه) و(لفت النظر)، نرى أنه استُبدِل رأس الاقتران الأول (جذب) بلفظ آخر (لفت)، وهما لفظان من حقل دلالي يتعلق بالنظر والتأمل، وكذلك استبدل الذيل في الاقترانين الانتباه والنظر، وهما لفظان متعلقان بحقل يجمعهما بدلالة تصورية واحدة إلى حد ما، فالانتباه يستدعي النظر ويقول عبد الواحد خيري: "الاستبدال ليس مطلق الحرية فاستبدال وحدة بوحدة لا يمكنه أن يتم إلا إذا كانت الوحدتان تنتميان إلى الحقل الدلالي التصوري نفسه، وبمعنى آخر يجب أن تشترك الوحدة المستَبدَلة والوحدة المستبدِلة أي التي تقوم مقامها، على الأقل، في سمة دلالية تصورية واحدة"[5]؛ أي تشترك اللفظتان المُستَبدَلة والمُستَبدِلة بوجود علاقة ما، حيث تشكل تلك العلاقة اقترانين مترادفين، يمكن استخدام أيٍّ منهما في موقف ما بلا مفاضلة بينهما.

فالمُلاحَظ في علاقة الترادف بالاقترانات اللّغوية، أن الاقترانات تتشكّل وفق علاقة الاستبدال والتلاؤم لا تخرج عنهما، ولا يمكن أن تتحقق إلا ضمن الاستبدال الذي ينتمي للحقل الدلاليّ المشترك بين اللفظ المُستَبدَل واللفظ المُستَبدِل، ولا يُخِلّ بعلاقة التلاؤم الأفقيّ بين اللفظين، وفق نظام اللغة وقواعديتها. فقد تقبل مفردات الاقترانات في كثير من الأحيان علاقة الاستبدال الدلالي، التي ربما كانت تحقق الترادف بمعناه التام، والذي وضحه أحمد مختار عمر بأنه ذلك التطابق بين المعنيين للّفظين المختلفين حتى أن أبناء اللغة لا يشعرون بوجود أي فارق بين المعنيين[6]، أو قد تحقق شبه الترادف، حيث يتقارب اللفظان تقاربا شديدا حتى يصعب التفريق بين المعنيين لغير المتخصصين[7].

على أن مفهوم الترادف يُعدُّ جدليّا في الفكر التراثي لدى علماء السلف، خاصة بين علماء الأصول وعلماء اللغة، وحراك الأمر في هذا المقام أساسه علاقة القرآن الكريم بالترادف أمشروعة أم غير مشروعة؟، فأما علماء الدلالة والبلاغة فمالوا إلى عدمية

(1) شلبي، أفعال الحركة الانتقاليّة الكلية للإنسان في القرآن الكريم، دراسة دلالية إحصائية، ص7

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج114/9.

(3) الجرجاني، معجم التعريفات، ص50

(4) انظر، حسنين، الدلالة، ص118

(5) خيري، متلازمات معجمية أم متلازمات لغوية معجم أم تركيب؟، ص119

(6) عمر، علم الدلالة، ص220

(7) المصدر نفسه، ص220

الترادف، وأن الاتفاق التام على الحقيقة غير ممكن لا في القرآن ولا في غيره؛ لوجود ظلال معنى جانبية مع كل لفظ معجمي، وذلك ما وقف عليه أبو هلال العسكري في كتابه عن الفروق اللغوية[1].

وكذلك لا تزال الجدلية قائمة في الفكر الحديث بين منكر وآخر مقرر، ولكن الأكثرين على قبوله وعلى تنويع أنماطه، ما بين ترادف تام وترادف ناقص، أو الترادف الكامل، وأشباه الترادف؛ مما يعني عدمية وجود المعنى المتماثل تماما؛ أو عدم وجود الترادف الكامل كما يراه أحمد مختار عمر: "التعبيران يكونان مترادفين في لغة ما، إذا كان يمكن تبادلهما في أي جملة في هذه اللغة دون تغيير القيمة الحقيقية لهذه الجملة"[2].

ومن الذين أنكروا وجود الترادف التام من علماء الغرب المحدثين بالمر، حيث يقول: "إلا أن من المؤكد تقريبا أن ليس ثمة ترادف كلي في هذا المفهوم، ويرجع هذا في الواقع إلى الاعتقاد بأنه ليست هناك كلمتان بنفس المعنى تماما، إنّ ما سنجده طبعا أنّ بعض الكلمات قابلة للإبدال فيما بينها في مواضع معينة فقط، فالمترادفتان "deep" عميق و "profound" (عميق)، قد تستعملان مع "sympathy" (تعاطف)، غير أن "deep" فقط تستعمل مع ماء"[3].

ولا خلاف بين اللغويين المحدثين على وجود أشباه المترادفات، فجاء ذكر شبه الترادف عند فريد عوض بمصطلح الترادف الناقص، وهو ما اتفق على معناه علماء اللغة، ويعني عندهم: "إمكان حلول كلمة مكان كلمة أخرى تؤدي معناها، أو وظيفتها الدلالية في بعض السياقات"[4].

ويأتي التعبير المتماثل من خلال الاندماج المعجمي في التعبير عن التجمع بكلمة واحدة أيضا، ويتمثل شبه الترادف كذلك من خلال الترجمة والتفسير[5]، وجاء الحديث عن التضمن عند بالمر على أنه علاقة ترادف فيقول في ذلك: "التضمن علاقة ترادف تعتمد على النص، حيث يظهر عنصران مترادفان في نص معين مثل [أسد، ولبؤة: الصغار تسمى أشبالًا] ... لكنّ هذا لا يبدو دعمًا لترادف الكلمات، بل على العكس فإنها تترابط تضمينيًّا، إذ إنّ إحدى اللفظتين أكثر تحديدًا من الأخرى"[6].

وقد تطرق أحمد مختار عمر إلى الترادف وأنواعه، فجاء عنده: التّرادف شبه التّام مثل حول وسنة، والتّقارب الدلالي في مثل لفظتي حلم ورؤيا، والاستلزام بمعنى س1 يستلزم س2، فمثلًا التعبير "قام محمد من فراشه الساعة العاشرة"، يستلزم تعبير "كان محمد في فراشه قبل العاشرة مباشرة"، واستخدام التعبير المماثل، بمعنى الجمل المترادفة من خلال التحويل بتغيير مواقع الكلمات في الجملة في مثل: "دخل محمد الحجرة ببطء"، "وببطء دخل محمد الحجرة"، والتبديل أو العكس في مثل "اشتريت من محمد آلة كاتبةً، وباعني محمد آلةً كاتبةً"[7].

وبخصوص هذا الموضوع في روايات الأديبة الجزائرية أحلام مستغانمي، فلا معدى من الإقرار بوجود نمط الترادف الناقص، فهو وارد ويتركّز في المفردات ذات الاقتران الحر خصوصًا، وعليه تجري مناقشة بعض نماذج الترادف بين الأفعال الحركية ضمن اقتراناتها اللغويّة.

أثر الترادف في بناء اقترانات أفعال الحركة الموضعية

من خلال تناول مجموعة من الاقترانات اللغويّة في أفعال الحركة في روايات أحلام مستغانمي، تناقش الباحثة علاقة الترادف في بناء اقترانات أفعال الحركة الموضعيّة التي يختفي فيها ملمح المسافة والانتقال، وتتوزع في أنماط، حيث يتميّز فيها كلّ فعل

(1) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، ص21

(2) انظر، عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص223- 225

(3) بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص106-107

(4) حيدر، فصول في علم الدلالة، ص252.

(5) انظر عمر، علم الدلالة، ص220-223

(6) بالمر، علم الدلالة، الجامعة، ص108

(7) انظر عمر، علم الدلالة، ص220-223

بملامح تمييزيّة تخصّه[1]، وتنوّع توظيف تلك الأفعال ما بين الحقيقة والمجاز، وقد تناولت الباحثة نماذج متمثلة في أربعة أفعال موضَّحة في الجدول التالي:

(الجدول: 1)

الفعل	نوع الحركة	ملمح مشترك	ملمح مميز	اقتران (توظيف حسي)	اقتران (توظيف معنوي)
ارتجف	موضعية	ترددية	القوة والشدة	ارتجفت يدي وأنا أفك أقفال الحقيبة"	–
ارتعش	موضعية	ترديّة	أقل قوة وشدة	"ترتعش ذراعي الوحيدة	–
فتح	موضعية	تؤول إلى استقرار	الدلالة عير مرتبطة بالمصاحبة	كنت سأفتح النافذة ولكنني خفت	"تفتح أبواب صدر أوصدته الخيبات"
شرع	موضعية	تؤول إلى استقرار	الدلالة مرتبطة بالمصاحبة	"شرّعي الباب يا أم العروس"	"تشرع معه القلب على مصراعيه"

التّرادف (بين ارتجف وارتعش)

لا تخرج دلالة ارتعش عن المعنى ذاته في المعاجم القديمة كما بيّنها محمد محمد داود، وتعني الحركة الموضعيّة الترديّة والاهتزازيّة، وتحدث بقوة وسرعة، وتقع من الإنسان عند الخوف، أو التعرض لبرد شديد، أو مرض عارض، أو داء مزمن أو المفاجأة[2].

والارتعاش والرّجفة، تُعدَّان من الحركات الموضعيّة للأعضاء، مثل اليد، أو الرجل، أو الجسد كاملًا، ويذكر كريم زكي حسام الدين، أنَّ لكلّ عضو من أعضاء الجسد حركته المنتظمة مثل حركة القلب، وحركة الأمعاء، وحركات الرئتين، وحركة ارتداد الجفن[3]، وهي حركات طبيعية منظمة، ودائمة وفق نظامها الخلقي.

أما الرّعشة والارتجاف، فهما حركتان طارئتان، توجدان نتيجة موقف مؤثر أو مرض، وهما حركتان غير دائمتين مرتبطتان بطبيعة العضو المحدث لهما في موقف معيّن، وجاء ارتباطهما في اقترانات لغويّة بترادف شبه تام بين فعلي "ترتجف وترتعش"، فالرّجفة أقوى من الرّعشة وأشدّ وفق ما جاء في كتاب الفروق اللغويّة "الرّجفة الزلزلة العظيمة"[4]، وبذلك الفرق تخرج من الترادف التّام إلى شبه التّرادف، وتتضح في الاقتران علاقة الإسناد للعضو المؤدّي، من قبيل أن بعض الكلمات تأتي محددة في اقتراناتها مع ألفاظ بعينها مصاحبة لها، وهو ما ذكره (بالمر) عن تلازم بعض المفردات بقوله: "بعض الكلمات محددة اقترانيًّا؛ أي أنّها ترد فقط مقترنة مع كلمة أخرى، فكلمة "rancid" ترد مثلًا مع اللحم والزّبدة، بينما ترد كلمة ""addled" مع البيض والمخ، يظهر أن هذا الاقتران لا يتحدد بالمعنى، بل بالصحبة التي تحافظ هذه الكلمات عليها، وقد يُقال أن عَفِن وفاسد مترادفتان يختلفان فقط في أنّهما يظهران في مواضع مختلفة"[5]، ونقيس على ما سبق أنّ أفعال الحركة الخاصة بحركة عضو، تأتي غالبًا مقترنة مع ذلك العضو.

وقد جاء الفعلان"ارتجف وارتعش" في اقترانات لغوية، تجسّد شبه ترادفهما عند أحلام مستغانمي، ومن تلك الاقترانات ما يلي:

([1]) انظر ، الرجوبي، لأبعاد الدلالية في أفعال الحركة برواية التابوت، ص52–53

([2]) داود، محمد محمد، الدلالة والحركة، ص418

([3]) انظر، حسام الدين، كريم زكي، الزّمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم لزمان وألفاظه في الثقافة العربية، القاهرة، ص32.

([4]) العسكري، الفروق اللغويّة، ص301

([5]) بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص106

- "**ارتجفت يدي** وأنا أفك أقفال الحقيبة"[1]
- "فأصاب بهزة أولى **لترتعش يدي** تتوقف لحظات"[2]
- "**ترتعش ذراعي** الوحيدة، وهي تقاوم رغبة جامحة لاحتضانك"[3]

ظهر توظيف الاقترانات اللغوية الخاصة بأفعال الحركة الدالة على (الرجفة، والارتعاش) في الرّواية الأولى لأحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد)، وذلك لارتباط هذه الأفعال بأعضاء الجسد، حيث يرى محمد محمد داود أن الحركة "قد ترتبط بالعضو أو الجزء القائم بها، وتختص به، ذلك على نحو الارتباطات التالية: (الرقبة – التفت)، و (العين– أومأ)، و (اليد– لكم)، و (الرجل– ركل)"[4].

وكما يوجد استدعاء وظيفيّ، يقوم على العلاقات الوظيفية للكلمات، يوجد استدعاء منطقيّ، فكما يستدعي المبتدأ الخبر ويستدعي الخبر المبتدأ, والنكرة النعت, والمعرفة الحال في تركيب وظيفيّ, فهناك استدعاء أشار إليه محمد يونس علي قائلا: "هو قرينة معنويّة خالصة, وهو الذي تتطلب فيه إحدى الكلمتين الأخرى تطلبًا منطقيًا ... كاستلزام الفعل (قام) لفاعل منطقيٍ؛ لأنّ كلّ فعل لا بد له من فاعل"[5]، وترى الباحثة أنّ هذا النّوع من الاستدعاء يتمثل في ما جاء عند سيبويه في حديثه عن تلازم بعض الألفاظ، حيث يستدعي بعضها بعضا استدعاء إلزاميًا، فلا يصح نطق جزء من الاقتران دون الجزء الآخر، فيقول سيبويه في باب ما ينتصب من الأسماء التي ليست بصفة ولا مصادر: "واعلم أنّ هذه الأشياء لا ينفرد منها شيء دون ما بعده، وذلك أنّه لا يجوز أن تقول "كلّمته فاه" حتى تقول "إلى فيَّ" لأنك تريد مشافهة، والمشافهة لا تكون إلا من اثنين، فإنما يصح المعنى إذا قلت "إلى فيَّ"، ولا يجوز أن تقول "بايعته يدًا" لأنك إنما تريد "أخذ مني وأعطاني" فإنما يصح المعنى إذا قلت بيد، لأنهما عملان..."[6]، فالعلاقة بين اللفظين المتلازمين عند سيبويه علاقة منطقية.

واليد في حركة الرعشة والارتجاف، هي القوّة المحرِّكة، ويرى كريم زكي حسام الدين أنّ اليد وحدة دلاليّة تسجّل نسبة شيوع عالية في مجموعتها الدلاليّة، ويعكس ذلك أهميّة تلك الجارحة حيث يرتبط بعضها بالمصاحبة اللغوية"[7]، ومنطقيّا عضو اليد هو ما يمكن للذهن استحضاره للاقتران بفعل الرّعشة من خلال علاقة الإسناد، وفي مواقف مرتبطة بالنص، حيث إنّ اليد علامة فارقة في جسد بطل الرواية (خالد)، الذي يعيش بيد واحدة، أي بنصف تلك القوة، فهو يفقد إحدى ذراعيه، وما يشعر به من رجفة، وارتعاش مقتصر على جسده، وذراعه الوحيدة.

وقد وظفت مستغانمي "ارتعش وارتجف" في سياقات انفعاليّة مؤثرة بالنسبة للبطل في مواقف عديدة، فموقف عند فتح حقيبة صديقه المتوفى، وموقف آخر عند مقاومة رغبة جامحة في احتضان من يحب، حيث شكّل ذلك استدعاءً نصيًّا محصورًا في رواية ذاكرة الجسد، فـ "اليد جارحة الإنسان التي تحتوي على الأصابع، ويُؤخَذ بها ويُقْبَض على الأشياء"[8]، فجاء توظيفها في مواقف القبض على أشياء لها دلالتها في نفس البطل؛ مما سبّب صدور أفعال الحركة الترددية "الرجفة والرعشة" عن اليد، وهو ما أشار إليه كريم زكي حسام الدين من خلال قول (سوسير) "إن الكلمة توحي دائمًا بكل شيء يمكن أن يتّصل بها أو يشترك معها بطريقة

([1]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص254

([2]) المصدر نفسه، ص255

([3]) المدر نفسه، ص، ص66.

([4]) انظر، داود، الدلالة والحركة، ص40

([5])علي، وصف اللغة العربية دلاليا, في ضوء مفهوم الدلالة المركزية, ليبيا، ص308.

([6]) سيبويه، الكتاب، ج392/1

([7]) حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1/ 219.

([8]) المرجع السابق، ص212

أو بأخرى"[1]، فلفظ الارتعاش والرجفة المسندان إلى الإنسان، توحيان على الأغلب بعضو اليد أو الجسد عامة، حيث يظهر ترادف الاقترانين واضحًا بين ارتجف وارتعش، باقترانهما بالعضو المؤدي لهما وهو اليد، أو الذراع في في العبارتين "ارتجفت يدي"[2] و"ترتعش ذراعي"[3].

وفعل الحركة الموضعية المتمثل برأس الاقتران يتسع مداه باتّساع ترادفات العضو المؤدي، فارتعش قد تقترن باليد، أو الذراع، أو الساعد، أو الكف، ويرى كريم زكي حسام الدين أن الوحدات: اليد، والذراع، والعضد، والساعد ترتبط بعلاقة العموم والخصوص ... فاليد مثلت العموم، وما تبقى من عضد، وساعد، وذراع، ومقيّد مثلت الجزء، أو الخصوص، فالساعد الجزء الأسفل من المرفق للرسغ، والعضد يخصّ الجزء الأعلى من الكتف إلى المرفق، وذراع وساعد الجزء الأسفل من المرفق للرسغ، ومعصم ومقيَّد بدلالة الجزء الفاصل بين الساعد والكف ..."[4]، وبذلك "تميزت بعض وحدات المجموعة بعلاقة الترادف مثل: ساعد وذراع ، ومعصم ومقيّد، ويد وكف"[5]، مما يوسّع المدى في اقتران الفعل الحركي بالعضو المؤدي، فتنوَّع مدى الاقتران في النص، ما بين اليد والذراع، وذلك ينوّع في مفردات النص، ويقوّي المعنى القائم في اقتراناته اللغوية، ويجذب انتباه القارئ.

التّرادف (بين فتح وشرع)

جاء في لسان العرب الفتح ضد الإغلاق[6]، و"لفتح والإشراع" في دلالتهما اللغويّة يدوران حول الحركة بانتقال الأجزاء، في موضع واحد، وورد في كشّاف اصطلاحات الفنون بما يتعلّق بالحركة الموضعيّة، "والحركة في العرف العام انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر، أوانتقال أجزائه كما في حركة الرحى"[7]، أما اقتراناته فمداها واسع، ويتجه إلى الاسم الذي يقع عليه الفعل، ويتحدّد وفق السّياق، ويكون ما بين المعنى الحسّيّ والمجازيّ، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره محمد محمد داود عن الفعل "فتح"، والذي صنّفه مع الأفعال الحركيّة التي تنتهي إلى ثبات واستقرار.

وأشار محمد محمد داود إلى دلالة الفعل "فتح" المعاصرة، حيث ترد في سياقات الدلالة على إحداث فرجة في شيء كان مسدودًا من خلال حركة في ذلك الشيء، وتحديد ذلك الشيء يأتي من خلال تحديد [الملازمة (المفعول به)]، فقد يكون بابًا، أو كتابًا، أو غير ذلك مما يستجيب لحركة الفتح، ويأتي الفعل بتصاريفه المختلفة بدلالته الحسيّة مثل "فتحتُ البوابة"، و"فتحت نوافذ البيت" ومن خلال المدى الواسع الذي يمتلكه الفعل فتح في الاقترانات اللغويّة، تتحقق دلالات سياقيّة مختلفة، مثل "يفتح عينيه" "يفتح النّار على ..." و"يفتح فمه" يفتح قلبه ..." و "فتح الحدود ..." ويفتح صدره" وغيرها، وتتلخص ملامحه الدلاليّة بالحركة، والموضعيّة، والانتهاء إلى ثبات واستقرار، وإحداث فرجة في موضع محدّد[8].

أمّا الفعل "شرع" وحسب ما جاء في لسان العرب "شَرَع الواردُ يشرَعُ شَرعا وشُروعًا تناول الماء بفيه...والشَّريعة والشَّراع والمَشْرَعة: المواضع التي ينحدر الماء منها، قال اللّيث: وبها سُمّي ما شرع الله للعباد من الصّوم والصّلاة والحجّ والنّكاح وغيره...والشريعة والشّرعة ما سنّ الله من الدّين وأمر به كالصّوم والصّلاة، والحجّ والزّكاة، وسائر أعمال البر... ويُقال شرع فلان في كذا وكذا إذا أخذ فيه... ويقال شَرَعتُ الباب إلى الطريق أي أنفذته إليه، وشرع الباب والدّار شروعًا أفضى إلى الطّريق"[9]،

([1]) المصدر نفسه، ص127

([2]) مستغانمي، أحلام، ذاكرة الجسد، ص254

([3]) المرجع السابق، ص66.

([4]) كريم زكي، حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج220/1 .

([5]) المصدر نفسه ، ج1/ 220

([6]) ابن منظور، لسان العرب، ج536/2.

([7]) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،ج2/ 91.

([8]) انظر، داود، الدلالة والحركة، ص366-367

([9]) ابن منظور، لسان العرب ، ج176/8-177.

فمعاني الفعل شرع اللغويّة في اللسان على أغلبها لا تعني الفتح، ولكنّها تتمركز في الابتداء أو ما ينحدر منه الماء، ولا تتحدد دلالة الفعل شرع على أنّه مرادف للفعل "فتح"، إلا من خلال اقترانه بمفردة أخرى، مما يقبل حركة الفتح مثل الباب والنّافذة وغيرها، فشيوع اقتران المفردة مع ألفاظ معينة من حقل دلاليّ واحد، أو ألفاظ تشترك ببعض الملامح الدلالية، يصنع للمفردة معنىً جديدًا، يختلف عن معناها اللغويّ بوصفها مفردة معجميّة.

وتوظف مستغانمي الفعلين فتح وشرع في اقترانات مترادفة الرأس (المفردة)، ومن تلك الاقترانات:

- كنت **سأفتح النافذة** ولكنّني خفت أن يزيد هذا من احتمال رؤية الآخرين لي"[1]
- "**فتحت نافذتي** الزجاجية الكبيرة"[2]
- "**أشرع نافذتي** لأهرب منك إلى السماء الخريفية"[3]
- "كيف **تفتح نافذة** الكلام في غرفة مريض"[4]
- "ما إن **فتحت الباب** ...حتى أطلقت علي وابل أسئلتها وهي تتأملني مذعورة"[5]
- "**تفتح أبواب** صدر أوصدته الخيبات"[6].
- "أكانت تلك اللحظة الأكثر ألما أم عندما **فتحت** خطأ **بابًا**، فقلت لكِ موضحًا هذه غرفة زياد؟"[7].
- "قالتها وهي **تشرع باب** الدّار أخيرًا وتمسح دموعها"[8].
- "**شرّعي الباب** يا أم العروس"[9].
- "**اشرعي** اليوم **بابك** قبل البكاء"[10].
- "كنت أشعر أنّها تحمل شيئا يفاجئني **ويشرع الباب** للعواصف المتأخرة عن موسمها"[11]
- "**تشرع** مضيفة **باب الطائرة** ولا ننتبه أنها **تشرع** معه **القلب** على مصراعيه"[12]

نلاحظ أنّ بناء الاقترانات اللغويّة في معظمها عند مستغانمي متعلقة بالدلالة الحسّيّة، "فَتْحُ الباب" و"تَشريع النافذة"، وفي عدد قليل منها اتجهت إلى الاقترانات المجازيّة في مثل: "نفتح أبواب صدر أوصدته الخيبات" ""كيف تفتح نافذة الكلام في غرفة مريض"، وجاء المجاز فيها ليس ضمن اقتران الفعل بمفعوله (الباب أو النافذة)، وإنما جاء ضمن متلازمة الباب اللفظية بالإضافة، فلو حذف المضاف إليه (الكلام، وصدر)، يعود الاقتران إلى معناه الحسيّ "تفتح نافذة" ونفتح بابًا"، ومن ثَمَّ فعلاقة الترادف بين الفعلين من خلال اقتراناتهما، هي نتيجة ترادف الفعلين شرع وفتح، في توظيف حسّيٍّ بالدرجة الأولى، وبناءً على ذلك، يمكن لنا استبدال الفعلين في سياقات متشابهة، فترادف الفعلين هو ضمن التقارب الدلاليّ بين مفردتين وُظِّفتا في اقترانات لغويّة دلالتها متشابهة.

([1]) مستغانمي، فوضى الحواس ، ص72

([2]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص159

([3]) المصدر السابق، ص11.

([4]) مستغانمي، عابر سرير، ص106

([5]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص99.

([6]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص147

([7]) المصدر نفسه، ص206

([8]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص ص112

([9]) المرجع السابق، ص353

([10]) المرجع السابق، ص202

([11]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص257

([12]) المصدر نفسه، ص284

وارتبطت الاقترانات جميعها بفتح فرجة على الحقيقة أو المجاز؛ لذلك الألم الذي يعيشه أبناء الجزائر نتيجة خيبات الأمل، وكأن خيبة الأمل عند مستغانمي تفتح في النّفوس والقلوب والصّدور فرجة، يدخل منها الحزن، فتفتح أم رفيق خالد في النضال الباب؛ لتتلقّى أخبارًا عن ولدها الثائر الذي لم تره منذ شهور طويلة، أو تفتح أم العروس بابها لفرح مبطن بخيبة أمل لشخص آخر، لا يعلم عن حزنه أحد، وتفتح المضيفة باب الطائرة، ليعود البطل إلى وطنه محملًا بالخيبة والحزن، ويشرع البطل نافذته؛ ليحاول الهرب ممن سبّبت له ألمًا وجرحًا وخيبة أمل، ويصعب فتح نافذة الكلام في غرفة ذلك المريض الّذي لا يحتمل المزيد من الحزن والخيبة المتمثلة في كلامه، "ففتح وشرع" بترادفهما وُظِّفا عند مستغانمي بما يتناسب مع الخيبة والحزن، والألم المتزايد الذي تُفتَح أبوبه، ولا سبيل إلى إغلاقها، وهو يتمحور في موضع واحد ليستقر فيه، فتشابه الأحزان عند مستغانمي، تجسده ألفاظ مترادفة لتقوّي معنى الحزن في اقترانات، تُستدعى جميعها في مواقف حزينة مؤلمة، فالألم والحزن متشابه، مهما اختلفت وتنوعت أسبابه ومواقفه.

أثر التّرادف في بناء أفعال الحركة الانتقاليّة.

من خلال مجموعة من الاقترانات اللغويّة في الروايات، تناقش الباحثة الترادف في أفعال الحركة الانتقاليّة، والتي يتضح فيها ملمح المسافة والانتقال، مع وجود ملامح تمييزيّة تخص كل فعل على حدة[1]، ويمثل الجدول التالي نموذجًا منها:

(الجدول: 2)

الفعل	نوع الحركة	ملمح مشترك بين المترادفين	ملمح مميّز	اقتران (توظيف حسي)	اقتران (توظيف معنوي)
ذهب	انتقالية	الابتعاد	الانتقال	**ويذهبون به** إلى المقبرة على الأقدام	كانت **تذهب بي** الأحلام،
مضى	انتقالية	الابتعاد	المواصلة	ويوشكون أن **يمضوا به**	"**يمضي بي** من شهقة إلى أخرى .."
ترك	انتقالية	الابتعاد	التخلي	"ها هو **يذهب ويتركني** معلقة"	**تركوا دراستهم** ليلتحقوا بالجبهة
جذب	انتقالية	تعدد الاتجاهات	أسرع	امتدت يده تستوقفني **وتجذبني نحوه**	الرمال **تسحبك** أكثر **نحو العمق**
سحب	انتقالية	تعدد الاتجاهات	أقل سرعة	يحتضنني **ويسحبني نحوه** قائلا	**تسحبك** أكثر **نحو** العمق
سقط	انتقالية	الاتجاه إلى الأسفل	التتابع	**ويسقط ليموت** بعد ساعات	لا دراسة لا تدريس حتى **يسقط الرئيس**
وقع	انتقالية	الاتجاه إلى الأسفل	لا تتابع	–	يمكن أن **يقع لك حادث**

التّرادف بين (ذهب ومضى)

الفعل ذهب من أفعال الحركة الانتقاليّة الدّالة على مغادرة المكان، ودلالته القديمة – فيما يذكر محمد محمد داود– تأتي ضمن معنى مطلق السّير والمرور[2]، وجاء عند ابن منظور "الذهاب: السير والمرور"[3]، والدّلالة القديمة للفعل "ذهب"، لا تختلف عن الدّلالة المعاصرة في العربيّة، وبما أنّه فعل لازم فقد شاع تعديته بحرف من حروف الجرّ، ممّا يشكّل اقترانًا لغويًا يستدعيه التّركيب، ويأتي مقترنًا مع الحرف "إلى" لتحديد موضع الذّهاب وكذلك مع الحرف "لـ" لتحديد المقصد من الذهاب مثل "ذهب للعمل" أو"ذهب للتسوُّق ...وكذلك يأتي مقترنًا بالظرف "مع" ليفيد معنى الصحبة ..أو ما يقاربها من دلالات حسّيّة، بينما يتّجه اتّجاهات دلاليّة أخرى في الاستعمال المجازيّ، فيعبّر عن معنى الانتهاء والزّوال: فنقول: [ذهب العمر هباء]، وقد تشير دلالته إلى ما انتهى وتوصّل إليه الإنسان مثل "يذهب في غيّه إلى حد الزّعم ..."وقد نعبّر به عن تبنّي فكر ما، أو رأي ما، أو توجّه ما، فنقول: "يذهب فلان إلى ..." ونذكر الفكر الذي يتّجه إليه ذلك المقصود في العبارة في مثل: "ذلك ما ذهب إليه كتّاب الرّواية"،

(1) انظر، الرجوبي، لأبعاد الدلالية في أفعال الحركة برواية التابوت، ص52–53

(2) انظر، داود، الدلالة والحركة، ص126

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج1/ 393.

وكلها دلالات معنويّة للفعل ذهب وتصريفاته المختلفة "ذَهبَ، يَذهَب، ذَهبْنا، أَذهَب، اذهَبْ"[1]، ومن أهم ملامحه الدلاليّة "الحركة، والانتقال، والذّهاب، والمضيّ[2].

أما الفعل "مضى" فيرادف الفعل "ذهب"، فهو من أفعال الحركة الانتقاليّة أيضا، ويقع في دائر معنى الذّهاب، جاء في لسان العرب "مضى الشيء يمضي مضيًّا ومضاءً: خلا وذهب ...، ومضى وتمضّى: تقدّم"[3]... ويُقال: مضيت بالمكان ومضيت عليه"[4]، حيث يُلاحظ الملمح المكانيّ للفعل مضى؛ مما يعني الدّلالة الحسيّة الحركيّة بمعنى اجتياز مكان محدد[5].

ولا يخرج الفعل في اللغة المعاصرة عن دلالته القديمة، ولكنّه يأخذ دلالات أخرى بحسب تنوع سياقاته، فقد يرد بمعنى المواصلة والاستمراريّة في مثل: "مضى في ما كان ماضيًا فيه"، وقد يأخذ دلالة الرّحيل، وربما يتّجه إلى معنى الانتهاء والموت فنقول: "مضى فلان الذي كان بمثابة الأخ"، أو دلالة مرور الزمن فنقول:... "ومضت أيام قبل أن أغادر منزلي"، وذلك عندما يختفي ملمح المسافة أو المكان، حيث نلحظ أنّ من أهمّ الملامح الدلاليّة للفعل مضى الحركة، والانتقال، والذّهاب[6].

وكان للفعلين مضى وذهب المترادفين تواجد في روايات أحلام مستغانمي ضمن اقترانات لغويّة، تناقش الباحثة جزئية منها:

- "كانت الأسئلة **تذهب بي** في كل صوب عندما قطع تفكيري قائلًا كمن يعتذر"[7].
- "كانت **تذهب بي** الأحلام، فأتصور مكانًا قد يجمعنا مصادفة"[8].
- "**يمضي بي** من شهقة إلى أخرى .. "[9]

اقتصر ترادف الفعلين "مضى وذهب" في الروايات على ترادف المفردات، وشكل اقترانات حسّيّة من خلال التعدية بحرف الجر الباء، فجاءت اقتراناتهما رأسها الفعل اللازم، وذيلها شبه الجملة، ومعناها حسيّ في العبارات "ذهب بـ" و"مضى بـ"، ويمكن لنا استبدال كل من الفعلين مكان الآخر في تلك الاقترانات؛ ضمن سياقات متشابهة حسّيّة ومعنويّة، ومن تلك الاقترانات العبارتان التاليتان في روايتين مختلفتين:

- "**ويذهبون به** إلى المقبرة على الأقدام"[10]
- "يضعونه على ناقلة جرحى، ويوشكون أن **يمضوا به**"[11]

فالعبارة الأولى تقولها الكاتبة على لسان البطل، وهو يتحدث عن ياسين أحد رفاق نضاله وسجنه في الجزائر، ويصف موته الموجع الساخر في رواية ذاكرة الجسد، وفي العبارة الثانية الكلام على لسان بطلة الرواية حياة، حيث تصف موت العمّ أحمد، السائق في رواية فوضى الحواس، والّذي لا يقلّ موته وجعًا وسخرية عن موت ياسين بعد أن قُتِل غدرًا بلا ذنب، وكلاهما موقفان يتحدثان عن نهاية الموت ليُمثلا دلالة الانتهاء غير الطبيعيّ انتهاء قسريًا لأبرياء، لا يمكن معه إلا التعديّة بحرف الجر (بـ)

([1]) انظر داود، الدلالة والحركة، ص126

([2]) انظر المصدر نفسه، ص127

([3]) ابن منظور، لسان العرب، ج15/ 283.

([4]) المصدر نفسه، ج15/ 283.

([5]) انظر داود، الدلالة والحركة، ص140

([6]) انظر المصدر نفسه، ص140-142

([7]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص332.

([8]) المصدر نفسه، ص305

([9]) المصدر نفسه، ص250.

([10]) مستغانمي، عابر سرير، ص163

([11]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص112

لفعلين حركيين انتقاليّين، حيث الانتقال من الحياة إلى الموت، فكان للترادف في العبارتين أثر في تقوية المعنى، وتأثيره في نفس المتلقي.

وبناء على تمييز الإنجليزي (هنري سويت) بين الكلمات التّامة والكلمات الشكلية، يقسّم (بالمر) الكلمات إلى كلمات تحمل معنىً معجميًّا تشغل اللغويين المعجميّين مثل شجرة، أزرق، وتمثل الكلمات التامة عند (سويت)، وكلمات تُعد روابط لا يظهر معناها مستقلة مثل حروف الجر، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، وغيرها، وليس لها معان معجميّة، بل تتضح معانيها من خلال التراكيب ضمن علاقتها بما قبلها وبعدها من ألفاظ، وتُدرس قواعديًّا[1].

فحرف الجرّ الباء هنا، لا يظهر معناه منفردًا، ومعناه متعلق بالانقياد للقوّة المؤثّرة التي تحمل الموضوع، وهو (ياسين والعم أحمد)، وعدم ظهور معاني تلك الحروف مستقلة – ومنها حرف الباء– يجعلها ضمن تراكيب، قد تكون في معظمها اقترانات لغويّة، يتوحد فيها الحرف (أداة الربط)، ويختلف فيها لفظ الفعل، أو الاسم المقترن به (رأس الاقتران).

ومن هنا يأتي اقترانا (يذهبون به و ".. يمضوا به")، ففي العلاقة التركيبية التي تفرض تعدية الفعل بحرف جر، يحسُن اختيار حرف الجر المناسب بما ينسجم مع علاقة الفعل بالموضوع، فالموضوع هو مَن ذهبوا به (ياسين أوالعم أحمد) وهو موضوع مُنقاد فاقد الإرادة، فتطلب الموضوع محور الحديث اختيار حرف الجر المناسب (الباء)، لإحالة الفعلين (يذهبون ويمضون) في الموقفين، بما يحقق علاقة الاستبدال للذهاب، والمضي عموديًّا في الحقل الدلالي الواحد، وعلاقة التلاؤم أفقيا باختيار حرف الجر المناسب لتعدية الفعل بما يتناسب مع االموضوع (أحمد وياسين) المستسلمين للقوة المحركة المؤثرة، فيرى محمد غاليم في مبدأ المجاورة، "إقامة علاقة بين ما نتصوره فعلًا، وما نتصوره موضوعًا لإنجاز الفعل، وهي علاقات استنتاجيّة ثنائيّة، إذ مثلما يحيل فعل الشرب على الشراب (أو المشروب)، ويحيل فعل الأكل على المواد الغذائيّة، فإن العكس صحيح"[2]، والقصد أن الموضوع المتمثل بفاقدَي الإرادة (ياسين وأحمد) يتطلب عند إحالته إلى الفعلين (ذهب ومضى) اختيار أداة الربط المناسبة؛ لإقامة تلك العلاقة بين الفعلين والموضوع، وتلك الأداة هي حرف الجر المناسب لتعدية الفعلين "بـ".

التّرادف بين الفعلين (ذهب وترك)

تتمحور دلالة الفعل ترك حول معنى التخلي والابتعاد، جاء في لسان العرب: "التَّركُ وَدْعُكَ الشَّيءَ ...وتَرَكتُ الشيءَ تَرْكا: خليته... وتراك بمعنى اتْرُك، وهو اسم لفعل الأمر"[3]، وبما أن الفعل على معناه اللغويّ يتّجه إلى دلالة التخلّي عن الشّيء، فهو يصح بمعنى "تَرك المكان"؛ أي "تخلّى عنه"، ولذلك ملمح دلاليّ يجمعه بالفعلين: (ذهب ومضى)، وإن اختلف معهما في ملامح أخرى، فالذّهاب من مكان هو بمثابة التخلي عنه، والفعلان (ذهب ومضى) يقترنان مع الفعل ترك من خلال علاقة العطف، في الكثير من العبارات فنقول: "ذهب وتركني"، أو "مضى وتركني"، ونقول مثلا "اذهب واترك مكانك لمن يستحقه".

والذهاب كذلك معنى يستحضره الذهن عند اقتران الفعل ترك بالمكان، فنقول مثلا: "ترك المكان وذهب أو مضى"، ومن الملامح الدلاليّة للفعل ترك الانفصال عن الشيء والبعد عنه، وعليه فهو اقتران منسجم بين فعلين بأداة ربط تتراوح بين الواو العاطفة، ولام التعليل في مثل "يذهب ويتركني" و"يذهب ليتركني"، وكأن الترك مُسبَّب عن الذّهاب أو العكس.

فالترك على الحقيقة مشروط بالذهاب إن ارتبط بالمسافة، والعكس صحيح، فنقول: "ترك المكان" أو"ترك البلد" أو"تركني وذهب"،على تقدير محذوف مرتبط بالمسافة فنقول مثلا: "تركني في البيت، أو في مكان ما وذهب، و كذلك في "ذهب وتركني" الذهاب مشروط بالترك.

([1]) بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص40

([2]) غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، ص118.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، ج10/ 405.

فمن الواضح أنّ كثيرًا من الكلمات متقاربة في المعنى، وأنّ معانيها متداخلة، أي أنّ هناك مفهومًا فضفاضًا للترادف"[1]، ومن هنا جاء استخدام مستغانمي لترك مقترنة بألفاظ توحي بالذهاب، مثل (يسافر ويتركني...، وترك الدّراسة ليلتحق بـ...) فالإيحاء عند سمير استيتية: "يأتي على عقب الدلالة المباشرة؛ بمعنى أنك من أجل الحصول على الإيحاء, أو إيصاله, لا توظف كلمات غير تلك التي توظفها من أجل إيصال معنىً معيّن"[2], و يصف الإيحاء بأنه: " منزلة غير مباشرة من منازل المعنى, يُتوصّل إليه ربما بعد الوقوف على المعنى المباشر, وربما كان الوقوف عليه بعد كدّ من النّظر والتأمل"[3]، ويقول كريم زكي: "الأبنية اللغوية تتقابل، وتتوازى دائما مع الأبنية الذهنية"[4]، فنلحظ اقتران الفعل "يذهب" بالفعل يترك في الكثير من المواضع؛ نتيجة ما يثيره إيحاء الفعل "ذهب"، أو الفعل "ترك" في ذهن المتكلّم، ومن تلك الاقترانات في روايات مستغانمي:

- "ها هو **يذهب ويتركني** معلقة إلى علامات الاستفهام"[5].
- "**ومضى ليتركها** مذهولة"[6]
- "**أتركها لهن وأذهب نحو ناصر .. كعادتي**"[7]
- "**أنا التي لم أقتنع يوما بمنطق رجل يتركني ويسافر**"[8]
- "**... قبل أن يتركها عبد الحق ويسافر إلى قسنطينة**"[9]
- "**تركوا دراستهم ليلتحقوا بالجبهة**"[10]

وكلها استعمالات للفعل ترك مع ملمح الانتقال، سواء كانت استعمالات حقيقية، أم مجازية، ومن هنا يأتي الترادف بين (ذهب، ومضى) مقترنين بالفعل""ترك" ومترادفين معه، من خلال ملمحين دلاليين مشتركين بين تلك الأفعال، وهو الانتقال عبر المسافات، والتخلّي.

فالعلاقة بين الفعلين "ذهب" و"ترك" علاقة استلزام، حيث إنّ حدث الذهاب يستلزم في الذهن حدث الترك، والعكس صحيح، فعلاقة الاستلزام اللغوي بطبيعتها علاقة إيحائية، فعند نطقك تركيبًا يستلزم تركيباً آخر، فالمخاطب لن يتوصّل إلى ذلك التركيب المُستَلزم إلا بعلاقة الإيحاء من خلال الألفاظ المباشرة، حيث يستدعي الذهن المعنى المُستَلزم والمفهوم ضمنًا، والتضمين كما وضحه (بالمر) " يعني الاستلزام، فقولنا: هذه زنبقة يشترط هذه وردة، وكذلك هذا قرمزيّ يستلزم: هذا أحمر" بذلك نوجد علاقة التضمين بين وردة وزنبقة، ووردة وزنبقة تضمينتان لنبات ولكنهما غير متكافئتين بعلاقة التضمين فوردة هي التضمينة المباشرة لنبات، وزنبقة هي التضمينة المباشرة لوردة ولكنها التضمينة غير المباشرة لنبات[11]، فذهب يستلزم ترك، وترك يستلزم ذهب إن ارتبطا بالمسافة.

([1]) بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص107

([2]) استيتية، اللسانيات, ص284.

([3]) المصدر نفسه، ص 283.

([4]) كريم زكي، حسام الدين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1/ 122.

([5]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص61.

([6]) المصدر نفسه، ص69

([7]) المصدر نفسه، ص215

([8]) المصدر نفسه، ص218

([9]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص297

([10]) مستغانمي، عابر سرير، ص166

([11]) بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص102

ولعلّ القارئ يلحظ أن اقتران الفعل ترك جاء مع الفعلين (مضى وذهب) في العبارات "ها هو **يذهب ويتركني** معلقة إلى علامات الاستفهام"[1] و"**ومضى ليتركها** مذهولة"[2]، و"**أتركها لهنّ وأذهب نحو ناصر .. كعادتي**"[3]، بينما لم يأتِ الاقتران بين الفعل ترك بـ "مضى أو ذهب" في العبارات "أنا التي لم أقتنع يوما بمنطق رجل **يتركني ويسافر**"[4]، و"... **قبل أن يتركها** عبد الحق **ويسافر** إلى قسنطينة"[5]، و" **تركوا** دراستهم **ليلتحقوا** بالجبهة"[6]، ولكنّ الممعن للنظر يجد أنّ "سافر" و"التحق" هي أفعال من ملامحها الدلالية الذّهاب، والانتقال من مكان إلى آخر، والتخلّي، فليس اقتران الفعل ترك مع الفعلين "مضى وذهب" اقترانًا مقيّدًا، لا يمكن التّدخل فيه، إنّما هو اقتران حرّ، يجوز فيه استبدال الفعلين "ذهب ومضى" ضمن حقلهما الدلاليّ بأفعال أخرى، تتقاطع معهما بملمح الانتقال، والتخلّي الواضح في الفعلين "سافر أو التحق"، ومن هنا فاقترانات ترك مع "مضى وذهب"، و"سافر والتحق"، من قبيل الاقترانات الحرّة المنتشرة في الرّوايات، والتي يجوز فيها الاستبدال بحسب الموقف، وتبقى ضمن ترادف التقارب الدلالي أيضا؛ لوجود ملمح تمييزيّ مشترك بينها هو الانتقال أو التخلّي.

التّرادف بين الفعلين (سحب وجذب)

بنظرة متفحّصة في ما يذكره محمد محمد داود عن أهم الملامح الدلاليّة للفعل جذب"، والفعل "سحب"، نلحظ الاشتراك ببعض الملامح الدلاليّة بين هذه الأفعال، فملامح الفعل جذب تتمثل بالقوة، والانتقال، والحركة، وتعدد الاتجاهات، وكثرة الدلالات المعنويّة، ومن ملامح الفعل سحب: الانتقال والحركة، والجذب، فيعدّ محمد محمد داود الجذب ملمحًا دلاليًا للسحب[7]، وذلك يعني تقاربًا دلاليًّا بين الأفعال "سحب وجذب" ، حيث إنّ كلّ فعل منهما، هو ملمح دلاليّ للآخر، وتتّضح تلك الملامح من خلال الاستعمال القديم والمعاصر، ومن تلك الاستعمالات، الاقترانات اللّغوية للفعلين "جذب وسحب" في روايات أحلام مستغانمي.

- "يحتضنني **ويسحبني نحوه** قائلًا: الحب أن تسمحي لمن يحبك بأن يجتاحك ويهزمك"[8].
- "امتدت يده تستوقفني **وتجذبني نحوه**"[9].
- "كل محاولة للخلاص في هذه الحالات ستجعل الرمال **تسحبك أكثر نحو العمق**"[10]
- "من الانفعالات والأحاسيس المتناقضة التي **تجذبك للأسفل** وللأعلى في وقت واحد"[11]

وظفت مستغاتنمي الفعلين "جذب وسحب" في اقترانات لغويّة، تراوحت ما بين المعنى الحسّيّ، حيث الشّدّ بقوة، والمعنى المجازيّ الذي يتأتّى من إسناد الفعلين لغير فاعلهما على الحقيقة، والمُلاحظ عند مستغانمي أنّ الفعلين (جذب وسحب) بإسنادهما على الحقيقة، يقترنان بالظرف المحدد للاتّجاه مثل الظرف (نحو)، ويمكن تبادل الفعلين في المواقف المتشابهة، في مثل: **يحتضنني ويسحبني نحوه / الرمال تسحبك .. نحو العمق / يده ..تجذبني نحوه"** .

([1]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص61.

([2]) المصدر نفسه، ص69

([3]) المصدر نفسه، ص215

([4]) المصدر نفسه، ص218

([5]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص297

([6]) مستغانمي، عابر سرير، ص166

([7]) انظر داوود، الدلالة والحركة، ص92

([8]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص261.

([9]) المصدر نفسه، ص285.

([10]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص228

([11]) المصدر السابق، ص168.

والاتّجاه ممّا يتطلّبه السحب والجذب على الحقيقة، إذ إنّ القوة الساحبة أو الجاذبة، لابدّ لها من اتّجاه تشدّ الهدف إليه، وهو أمر مرتبط بالمكان والمساحة، فالجذب والسّحب على الحقيقة يكونان ضمن مكان محدد، والمكان من مستلزماته الاتجاهات، فنقول يسحبني إلى أو نحو، ويجذبني إلى أو نحو، بينما المعنى المجازيّ لا يوجب تحديد اتّجاه، فحين تسحبك الأحاسيس، فذلك لا يعني بالضرورة تحديد اتّجاه إلى مكان حسّيّ، وعليه فليس ضروريّا الاقتران بظرف مرتبط بالمساحة، وإن كان جائزًا، ويحتفظ الفعل جذب في العربيّة المعاصرة بدلالته القديمة، المتّجهة نحو الأخذ والشدّ بقوّة لتحريك الشيء عن موضعه[1].

ويذكر محمد محمد داود أنّ حركة الجذب تتسم بالقوّة والسّرعة، وتأتي دلالات الفعل جذب وتصاريفه المختلفة كجذب يجذب يتجاذب ... متمثّلة بالمعنى العام، وهو الأخذ والشدّ بقوّة وسرعة، أو بدلالات يفرضها إسناد الفعل لغير الإنسان، كعبارة "ماصّة الصّواعق التي ترتفع فوق البنايات؛ لتجتذب الصّاعقة وتُفسد أثرها، أو تأخذ الفعل دلالات معنويّة مثل: "جذب الأسماع بحلاوة صوته"، أي لفت الانتباه، أو عبارة "أخذا يتجاذبان أطراف الحديث"، أي تبادلا الحديث في ودّ ورغبة"[2]، وبذلك نرى الفعلين جذب وسحب، يرتبطان بالجانب المعنويّ، كارتباطهما بالجانب الحسّيّ.

ورغم ما تقدّم من تشابه الملامح الدلاليّة بين الفعلين (يجذب ويسحب) فهناك اختلاف، فالجذب أقوى من السّحب وأسرع، فجذبه يعني... حوّله عن موضعه، واجتذبه استلبه"[3]، ومن أهم الملامح الدلاليّة للفعل (جذب)، الحركة والقوّة والسّرعة، والتقيّد بجارحة اليد في غالب الدّلالات الحسيّة[4]، وأما الملامح الدلاليّة للفعل سحب فهي: الحركة والانتقال والاتّجاه الأفقيّ، وجر آخر وراءه [5]، ويكمن الاختلاف بينهما في ملمح السّرعة، فالجذب أسرع من السّحب، وذلك يعني اختلاف كمّ الزمن الذي يستغرقه كل منهما في الحركة، فالأسرع يحتمل زمنًا أقل، يقول التهانوي عن الحركة السّريعة: "هي التي تقطع مسافة مساوية لمسافة أخرى في زمان أقلّ"[6].

وبناء على ما سبق فالاختلاف في أحد الملامح الدلاليّة بين سحب وجذب مؤشّر، للتّرادف غير التّام، وإنّما هو ترادف من قبيل التّقارب الدّلاليّ، حيث تتّضح المعاني المجازيّة بمعنى التحوّل من شعور إلى آخر فنقول: "أمر ما يجذبني نحو الحزن أو الفرح"، "وأمر ما يسحبني نحو الحزن أو الفرح"، على جواز تحديد الاتجاه أو عدمه في المجاز، الأمر الذي أفادت منه مستغانمي بتوظيفها للمفردات المترادفة على الحقيقة، وعلى المجاز في بناء اقترانات لغوية تحدّد فيها اتّجاهات، وأخرى لا تحدّد فيها اتّجاهات، كقولها "**وأنا أنسحب تدريجيًّا على رؤوس الأصابع لأترك له المجال**"[7]، وهو ما تطرّق إليه محمد محمد داود في توضيحه الملامح الدلاليّة لفعليّ الحركة (سحب وجذب) حيث يقول: "وحين يُسند إلى ما لا يتأتّى منه حركة السّحب الحسيّة، ويختفي ملمح المسافة (المكان) يأخذ الفعل دلالات معنويّة مثل: الاعتراض أو المقاطعة لمكان محدّد أو جماعة معيّنة، وهو لون من الانسحاب المعنويّ"[8].

([1]) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج1/ 257.

([2]) انظر داود، الدلالة والحركة، ص440-442

([3]) ابن منظور، لسان العرب، ج1/ 257.

([4]) انظر داود، الدلالة والحركة، ص442

([5]) انظر المصدر نفسه، ص92

([6]) التهانوي، ج2/ 95

([7]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص205

([8]) انظر داوود، الدلالة والحركة، ص91

ومن أهمّ الملامح الدلاليّة للفعل سحب وجذب جر آخر وراءه[1]، وتعني جر شيء ما على وجه الأرض، فجاء في لسان العرب "السّحب: جرّك الشيء على وجه الأرض، كالثّوب وغيره وسَحَبَه يَسحَبُه سَحْبًا، فانسَحب: جرّه فانجَرَّ"[2]، وهو ما يشير إلى اتجاه أفقي.

في حين ترى الباحثة أن مستغانمي حوّلت الاتجاه في اقترانين مترادفين من الافقي إلى العمودي، مرة على الدلالة الحسية، ومرة على الدلالة المعنويّة، فتقول على لسان البطل: "الرّمال تسحبك أكثر نحو العمق"[3]، و"الانفعالات والأحاسيس المتناقضة التي تجذبك للأسفل وللأعلى في وقت واحد"[4]؛ مما يعني ليس من الضّروريّ أن تنحسر الحركة للفعل سحب وجذب في الاتّجاه الأفقيّ، فيمكن أن يكون الجذب للأعلى، أو للأسفل معنويًّا كان أم حسيًّا، ولكنّها حركة مستقيمة، وهو ما تراه الباحثة تعديلًا على ملمح الاتّجاه المقترن بالجر على وجه الأرض؛ أي تعديل تخصيص ملمح الاتّجاه الأفقيّ، إلى تعميم ملمح الاتّجاه المستقيم على إطلاقه أفقيًّا كان أم عموديًّا، بمعنى تعدّد الاتّجاهات الذي سبقت الإشارة إليه عند محمد محمد داود، فاقتران الفعل "يجذب" بلفظ "الأسفل" واقتران الفعل "يسحب" بتحديد اتّجاهه نحو العمق، حرر الملمح الدلاليّ للفعلين من التقيّد بالاتجاه الأفقيّ إلى الاتّجاه المستقيم على إطلاقه أفقيّا كان أم عموديًّا.

تغيّر الملامح الدلاليّة يؤدي إلى فقد التّرادف

عدّ بعض اللغويين الاستبدال الدلاليّ في الاقترانات اللّغويّة وسيلة للتفرقة بين المترادفات، بمعنى أننا نستطيع التوصّل إلى علاقة الترادف بين لفظتين باستبدالهما في اقتران لغويّ واحد، فإن تحقّق المعنى في كلا الاقترانين، فذلك يعني أن اللّفظتين بينهما علاقة ترادف[5]، ولا يمكننا التّسليم بهذا الرأي مطلقًا، فقد تتغيّر الملامح الدلاليّة للمفردات من خلال اقترانها اللغويّ في سياقات معيّنة، وكلّما ازداد عدد الملامح الدلاليّة المختلفة بين لفظين، ابتعد اللفظان عن مفهوم التّرادف على مستوى الاقتران كوحدة دلاليّة، وتناقش الباحثة تغيّر الملامح الدلاليّة للفعلين (سقط ووقع) والّتي سبّبت نفي التّرادف بينهما، من خلال الاقترانات اللغويّة عند أحلام مستغانمي ومنها.

تغيّر الملمح الدلاليّ للفعلين "سقط ووقع"

ورد في لسان العرب: "وقع على الشيء ومنه يقع وقعًا ووقوعًا: سقطَ"[6]، ويوافقه في القاموس المحيط "سَقَط سُقوطا ومَسقطا: وقع .. فهو ساقط وسَقوط"[7]، فالسقوط والوقوع حركتان انتقاليتان تشتركان بالملامح الدلاليّة ذاتها، فمن الملامح الدلاليّة للفعل "وقع" الحركة، والانتقال، والاتّجاه للأسفل قال تعالى: "**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**" [الحج:65]، ووقوع فعل يحدث مرة واحدة ليس فيه معنى التّتابع[8]، بينما يتضح ملمح التتابع في الفعل سقط بصيغة "تفاعل"، قال تعالى: "**تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** " [مريم:25] .

حركة السقوط في الدلالة المعاصرة لها اتجاهات دلاليّة منها الوقوع والنّزول والهدم[9]، وهي دلالات في معظمها مجازيّة، وقد ورد في لسان العرب ما يؤيّد استعمال "سقط" في دلالات مجازية، فجاء فيه "والسَّقَط السقاط: الخطأ في القول والحساب

([1]) انظر المصدر نفسه، ص92

([2]) ابن منظور، لسان العرب، ج1/ 461.

([3]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص228

([4]) المصدر نفسه، ص6

([5]) انظر، حسنين، الدلالة والنحو، ص118

([6]) ابن منظور، لسان العرب، ج8/ 402.

([7]) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص671.

([8]) انظر، داود، الدلالة والحركة، ص223

([9]) انظر المصدر نفسه، ص199-200

والكتاب، وأسْقَطَ وسَقَطَ في كلامه وبكلامه سُقوطا، أخطأ"[1]، وترد معظم توظيفات التّرادف بين "سقط ووقع" في الرّواية الأخيرة من الثّلاثيّة "عابر سرير" مقترنة بالنّهايات، حيث نهاية بطل الرواية الأولى (ذاكرة الجسد)، ونهاية العلاقة بين البطلة حياة، وبطل الرّواية الثانية "فوضى الحواس، ومن خلال الرّبط بين اقترانات (سقط ووقع)، ومعنى النّهايات في روايات مستغانمي نلمح إشارة إلى حالة جديدة وهي في المعنى اللغويّ تتعلّق بالسّكون، حيث يتّجه الفعلان "سقط ووقع" باتّجاه الأسفل، فمستقرّ حركة السّقوط السّكون، وبذلك يتحقّق معنى التغيّر والتحوّل من حال إلى أخرى، فالسّكون في نهاية الحركة حال جديدة للشيء الذي سقط، وكذلك الوقوع يقول التهانوي: "ذهب بعض الحكماء إلى ... كل حركة مستقيمة لابدّ أن تنتهي إلى سكون؛ لأنها لا تذهب على الاستقامة إلى غير النّهاية"[2]، فموت بطل الرواية الأولى ذاكرة الجسد، وانفصال البطل في رواية فوضى الحواس عن بطلة الروايات الثّلاث حياة، وانطلاق كلّ منهما إلى حياة جديدة، كلّها معان تنسجم مع فكرة توظيف اقترانات لغويّة، تبدأ بأفعال الحركة الانتقاليّة المترادفة (سقط ووقع).

وبناء على ما سبق ترى الباحثة أن الفعلين (سقط ووقع) المترادفين، يمكن أن يكون لهما ملمح دلاليّ جديد، يعبّر عن التحوّل والتغيّر، ويرتبط معنى التحوّل والتغيّر بالاستعمال المجازيّ للفعلين، فنقول "وقع في الحب"، "ووقع في الفخ"، بما يتضمّنه ذلك من معان تشير إلى تغيّرات حدثت للمقصود بالكلام، وهو ما أشار إليه محمد داوود باسم المعاني التي تخرج إليها الأفعال الحركيّة عند استعمالها في سياقات مجازيّة، أو معنويّة في كتابه "الدّلالة والحركة في الاستعمال المعاصر"، حيث لا تراها الباحثة إلا ملامح دلاليّة جديدة، متعلّقة بالدّلالة المجازيّة، التي تأتي بها اللّفظة في مواقف معيّنة، فمن الملامح الدلاليّة للفعلين (سقط ووقع) مجازا التغير من حال إلى حال أخرى هي السّكون.

فَقْدُ التّرادف ما بين الفعلين (وقع وسقط)

نفي التّرادف بين المفردات في اقتراناتها لا يعني أن نظريّة الرّصف لا تسهم في الكشف عن المترادفات، يقول أحمد مختار عمر: "وكما أُستُعملت النظريّة [ويعني الرصف] في كشف الخلاف بين المترادفات في اللغة، استعملت أيضا لتمييز المترادفات داخل اللغة الواحدة، على أساس توزيع كلّ منها"[3]، ولكنّ التوزيع لتمييز المترادفات –والذي أشار إليه أحمد مختار عمر– وفق رؤية الباحثة يكون ما بين السياقات الحقيقيّة، والسّياقات المجازيّة، حيث تفقد المفردات ترادفها ما بين الحقيقة والمجاز، فالتّرادف يعتمد على فكرة التطابق في المعنى المركزيّ للفظة، يقول أحمد مختار عمر: "الترادف المقصود التطابق في المعنى الأساسيّ دون سائر المعاني، أو هو الذي يمكننا فيه التّبادل بين اللّفظين في بعض السّياقات، في مثل وصل وجاء اللّتان تتبادلان في تعابير مثل "جاء القطار وصل القطار"، و"جاء محمد ووصل محمد" و"جاء الخطاب، ووصل الخطاب"، و"تختلفان في سياقات أخرى فنقول جاء الربيع"، ولا نقول "وصل الربيع"، ونقول وصل من سفره، ولا نقول جاء من سفره[4].

وكان للفعلين (سقط ووقع) حضور ضمن اقترانات لغويّة حسّيّة، ومجازيّة في روايات مستغانمي، وقد فقدا ترادفهما على مستوى الاقتران اللغويّ ومنها:

- "شعرت وأنا أتصفّحه أنني **وقعت على المفتاح** الذي يفتح سر هذا الرجل"[5].
- "لا دراسة لا تدريس حتى **يسقط الرئيس**"[6].
- "وهي ممسكة برضيع، فيفلت من يدها، **ويسقط ليموت** بعد ساعات في مستشفى"[1].

([1]) ابن منظور، لسان العرب، ج7/ 317.

([2]) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2/ 98.

([3]) عمر، علم الدلالة، ص78.

([4]) المصدر السابق، ص230

([5]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص179

([6]) المصدر نفسه، ص172

- "ولا أدري متى **سيسقط أحدهم قتيلا** بتهمة"[2].
- "منذ **سقط بوضياف قتيلا** مباشرة على شاشة التلفاز "[3].
- "يأتي بهما في الوقت والمكان نفسه **ليقعا تحت الصاعقة إياها**"[4].
- "لقد **وقعت في فخ الرموز** الكبرى بعدما **وقعت** قبله **في فخّ الزواج** المدبّر "[5].
- "ولكن ما كدت أتحرّر من عبوديّة الانتظار حتى **وقعت في عبوديّة الكتابة**"[6].
- "رحت أستعجل النوم ، أحاول أن أنام دون أن **أقع في فخ الأحلام**"[7]
- "يمكن أن **يقع لك حادث**"[8]
- "**وقعت على كتاب** لهنري ميشو"[9].
- "**وقعت على اكتشاف** عشقيّ مخيف"[10]

وذلك التمايز بين المفردات من خلال رصفها ما بين سياقات حسّيّة وسياقات معنويّة، هو ما عملت عليه أحلام مستغانمي في توظيف الفعلين، "وقع وسقط" بما يتناسب مع اقتراناتهما، فهناك ما لا يمكن أن توظّف فيه السقوط بمعنى الوقوع أو العكس، وكما انّ المجاز يوسّع دائرة المشترك اللّفظيّ في المفردات، فإنه يحدّ من فكرة التّرادف في الاقترانات اللغويّة ما بين الحقيقة والمجاز، من حيث عدم التّرادف بين الدلالة المركزيّة والدّلالة الهامشيّة، وذلك لارتباط المفردة بلقظ آخر في الاقتران، فالدّلالة الهامشيّة كما بيّنها محمد عبد المطّلب "تأتي طبقا للوضع الذي تحتلّه الكلمة في نظام النّظم والوحدات الأخرى المرتبطة بها بروابط قويّة وثيقة[11]، فالاقتران اللّغوي للألفاظ يعمل على تغيّر الملامح الدلاليّة الأساسيّة للّفظة المرتبطة بالدّلالة المركزيّة، وهي "ليست سوى دلالة المطابقة التي حدّدها القدماء بأنّها دلالة اللّفظ على تمام معناه الموضوع له"[12]، وفي الوقت نفسه يُكسب الألفاظ ملامح دلاليّة جديدة مرتبطة بالدّلالة الهامشيّة، وهي عند محمد عبد المطّلب "ليست سوى دلالة الالتزام التي حدّدوها بأنها دلالة اللفظ على شيء خارج عن معناه، وهي مجال الإبداع الفني"[13].

فـ "وقع وسقط" يخرجان من حيز الترادف في مثل "وقع حادث"، و"سقط قتيلا"، بينما يترادفان في "وقع بين فكي الحياة" و"سقط في براثن المرض"، و"سقط في فخ الزواج"، و"وقع في فخ الأحلام"، فالذي حدّد التّرادف للمفردات هو الاقتران اللغويّ، والمصاحِبات التي اقترنت بهما.

([1]) المصدر السابق، ص230.

([2]) المصدر نفسه، ص340

([3]) المصدر نفسه، ص341

([4]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص77

([5]) المصدر نفسه، ص102

([6]) المصدر نفسه، ص145

([7]) المصدر نفسه، ص142

([8]) المصدر نفسه، ص152

([9]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص179

([10]) المصدر نفسه، ص326

([11]) عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص74 وانظر، أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص 106-107

([12]) المصدر نفسه، ص74

([13]) المصدر نفسه، ص74

و"يقول أصحاب المنهج السّياقيّ: إنّ معظم الوحدات الدلاليّة تقع في مجاورة وحدات دلاليّة أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع في مجاورتها"[1]، وقد وظفت مستغانمي الفعلين على الحقيقة في اقترانات يمكن أن نتبادل فيها الفعلين على الدلالة المركزيّة، في مثل "... الذي أصبح بكلمة واحدة **يقع مغمىً عليه**"[2]، وعبارة "أطلقوا خلفه الرّصاص **فسقط** ميتًا دون أن يفهم ما حدث"[3]، وعلى المجاز في اقترانات يمكن أن يُستبدل فيها الفعلين على الدّلالة الهامشيّة في مثل "وقع بين فكي الحياة" و"سقط في براثن المرض"، ومن تلك المواضع التي لا يمكن استبدال الفعل "سقط" فيها بالفعل "وقع"، – ومن ثمّ نفي الترادف بينهما على مستوى الاقتران اللغوي– ما جاء في العبارات: "يمكن أن **يقع لك حادث**"[4] و"**وقعت على كتاب** لهنري ميشو"[5] و"**وقعت** على اكتشاف عشقيّ مخيف"[6]، ففي تلك المواضع لا يمكن توظيف سقط؛ لتحل محل وقع.

وبالنظر إلى ما سبق ترى الباحثة، أننا نفقد التّرادف بين لفظين مثل فعليّ الحركة (سقط ووقع) على مستوى الاقتران اللغويّ، نتيجة تغيّر الملامح الدلاليّة الناتجة عن انتقال اللفظين من الدّلالة المركزيّة إلى الدّلالة الهامشيّة التي وصفها محمد يونس علي بـ " استجابة نفسيّة للكلمة, وقد تكون استلزامات منطقيّة أو عقليّة"[7]، وبين أنها ما تكتسبه اللفظة نتيجة تداولها في مواقف متعددة, فرضت ذلك المعنى فيها[8].

الخاتمة:

من خلال دراسة ترادف المفردات المتمثلة في أفعال الحركة ضمن الاقترانات اللغوية في روايات أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد وفوضى الحواس، وعابر سرير) توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج، توافق نتائج سابقة وتدعمها:

- من خلال اختلافات الملامح الدلاليّة في الأفعال المترادفة جميعها تبتعد فكرة الترادف التام، فلم يوجد فعلين من الأفعال التي دُرسَت حققا الترادف التام، وكانت جميعها ما بين علاقة شبه ترادف، وتقارب دلالي، وعلاقة استلزام.
- تَحَقّقُ الترادف في رأسي اقترانين، أو في ذيلهما، لا يخرج عن تحقّق علاقة الاستبدال ضمن حقل دلاليّ واحد.
- يقترن العضو المؤدي للحركة على الأغلب بفعل الحركة المناسب، فالرجفة والرعشة مثلا على الأغلب تقترن باليد، أو الجسد عموما.
- اتّساع مدى الاقتران في أفعال الحركة المرتبطة بعضو ما مرتبط بكثرة المسميات المترادفة لذلك العضو، ففعل الحركة الموضعيّة المتمثّل برأس الاقتران يتّسع مداه، أو يضيق باتّساع ترادفات العضو المؤدّي، فارتعش قد تقترن باليد، أو الذراع، أو الساعد، أو الكف، بينما إن كانت مترادفات العضو ضيقة يضيق المدى.
- تكتسب المفردة ملامح دلاليّة جديدة خارجة عن ملامح معناها اللغويّ؛ نتيجة اقترانها بألفاظ معيّنة (المصاحبات اللغويّة)، مما يجعلها تحقّق التّرادف مع ألفاظ على دلالتها وملامحها اللغوية المعجميّة في مثل الفعل (شرع) الذي لا يرادف الفعل (فتح) إلا من خلال اقترانه بما يقبل حركة الفتح.

([1]) عمر، علم الدلالة، ص68.

([2]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص70

([3]) مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص223.

([4]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص152

([5]) المرجع نفسه، ص179

([6]) مستغانمي، فوضى الحواس، ص326

([7]) علي، وصف اللغة العربية دلاليا, ص154.

([8]) انظر،المرجع نفسه، ص154.

- عندما تفقد المفردات المترادفة ملامحها الدلالية نتيجة انتقالها من اقتران حسّيّ إلى اقتران معنويّ، ينتفي ترادفهما على مستوى الاقترانات اللغوية الحسّيّة والمعنويّة، كما يحدث في الفعلين (سقط ووقع) فالفعل سقط في الاقتران "فسقط ميتًا" لا يرادف الفعل وقع في الاقتران "وقع حادث".
- انتقال الأفعال عموما، وأفعال الحركة خصوصًا من الدلالة الحسّيّة إلى الدّلالة المعنويّة يكسبه ملامح دلاليّة جديدة بتأثير الدلالة الهامشيّة مثل الفعل "وقع"في اقتران: "وقع في فخ الزواج" حيث نشأ فيه ملمح التحوُّل من حال إلى حال من خلال المجاز.
- ظهر تعديل على الملمح الخاص بالاتجاه في الفعلين (سحب وجذب) من الاتجاه الأفقي إلى تعدد الاتجاهات، وذلك من خلال توظيفهما في اقترانات اللغة الأدبية في مثل "يسحبني نحو العمق" و"يجذبني للأسفل".
- ترادف المواقف بمعنى تشابه المواقف، هو ما يولّد اقترانات مترادفة، على مستوى المفردات، فمواقف الألم والحزن الثابتة في روايات أحلام مستغانمي تضمنت اقترانات متشابهة، ومفردات مترادفة للدّلالة على الحزن، فالرّجفة والارتعاش جاءتا في مواقف انفعالية متشابهة، والفتح والإشراع جاء في مواقف تفتح حزنًا لا يمكن إغلاقه.

المصادر والمراجع

استيتية، سمير، (2005)، *اللسانيات*, ط1، إربد– الأردن، عالم الكتب الحديث.

أنيس، إبراهيم، (1984)، *دلالة الألفاظ*، ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

بالمر، فرانك، (1985)، ط1،*علم الدلالة*، ترجمة عبد المجيد ماشطة، العراق، الجامعة المستنصرية.

التهانوي، محمد علي الفاروقي، (دت)، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق لطفي عبد البديع، ط1، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

جبر، يحيى، الحركة والحياة، دراسة لغويّة، (2– 2– 2009)، https://blogs.najah.edu

الجرجاني، علي بن محمد، (دت) ، *معجم التعريفات*، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، ط1، القاهرة، دار الفضيلة.

حسام الدين، كريم زكي، (2000)، *التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه*، ط1، القاهرة، دار غريب.

حسام الدين، كريم زكي،(2002)، *الزّمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم لزمان وألفاظه في الثقافة العربية*، ط2، القاهرة، دار غريب للنشر.

حسنين، صلاح الدين صالح، (دت)، *الدلالة والنحو*، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب.

حسيني، حمادة محمد عبد الفتاح، (2007)، *لمصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم(دراسة نظرية تطبيقية)*، (رسالة دكتوراه)، جامعة الأزهر، القاهرة.

حيدر، فريد عوض،(2005)، *فصول في علم الدلالة*، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005، ص252.

خيري، عبد الواحد، (2006)، متلازمات معجمية أم متلازمات لغوية معجم أم تركيب؟، الرباط، *مجلة الدراسات المعجمية*، العدد الخامس، الرباط، 109–127.

داود، محمد محمد، (2002)، ط1، *الدلالة والحركة*، القاهرة، دار غريب.

الرجوبي، محمد سالم، (2011)، *الأبعاد الدلالية في أفعال الحركة برواية التابوت*، (رسالة دكتوراه)، جامعة اليرموك، إربد–الأردن.

سيبويه، *الكتاب*، (1988)، تحقيق عبد السلام هارون، ط3 ، القاهرة، مكتبة الخانجي.

شلبي، عماد عبد الرحمن، (2010)، *أفعال الحركة الانتقاليّة الكلية للإنسان في القرآن الكريم، دراسة دلالية إحصائية*، |(رسالة ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين.

عبد المطلب، محمد،(1994)، *البلاغة والأسلوبية*، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.

أبو العزم، عبد الغني، (يناير 2006)، مفهوم المتلازمات وإشكالية الاشتغال المعجمي، *مجلة الدراسات المعجمية*، العدد الخامس، الرباط، 33–46.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (دت)، *الفروق اللغوية*، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط1، القاهرة، دار العلم والثقافة.

علي، محمد محمد يونس، (1993)، *وصف اللغة العربية دلاليا, في ضوء مفهوم الدلالة المركزية*, ط1، ليبيا، جامعة الفاتح.

عمر، أحمد مختار،(1998)،*علم الدلالة*، ط5، القاهرة، عالم الكتب.

غاليم، محمد، (1987)، *التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم*، ط1، الدار البيضاء، دار توبقال،

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (2005)، *القاموس المحيط*، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة.

مجمع اللغة العربية، (دت)، المعجم الوسيط، دط، مجمع اللغة العربية، طهران، المكتبة العلمية.

مستغانمي، أحلام، (1998)، *فوضى الحواس*، ط5، بيروت، دار الآداب.

مستغانمي، أحلام، (2000)، *ذاكرة الجسد*، ط15، بيروت، دار الآداب.

مستغانمي، أحلام، (2005)، *عابر سرير*، ط4، بيروت، دار الآداب.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (دت)، *لسان العرب*، ط1، بيروت، دار صادر.

النيلي، عالم سبيط، (2006)، *النظام القرآني مقدمة في لمنهج واللفظ*، ط1، بيروت، دار المحجة البيضاء.